التحليل السّيميائي للقصّة تطبيق عملي على القصة القصيرة منقول

سنعرض ترجمة لإحدى التطبيقات العملية لنموذج جريماس، على قصة للأديب الفرنسي الفونس دوديه (1840-1897)، أشير إلى أني حاولت البقاء قريباً من تراكيب النص الفرنسي للقصة، لضرورة التحليل.

***القصة:**

عنزة السيد سيجان:

إلى السيد غرينغوار الشاعر الغنائي المقيم في باريس.

ستظل دائماً كما أنت أيُّها المسكين غرينغوار!.

كيف لك أن ترفض وظيفة كاتب وقائع في صحيفة باريسية جيدة!

لكن، انظر إلى كلامك أيُّها الولد التعس. انظر إلى صدرتك المثقوبة، وهذه الجرابات الفوضوية، وهذا الوجه الناحل الذي يصرخ جوعاً! ومع ذلك، فهذا هو المآل الذي قادك إليه ولعلك بالقوافي الجميلة. وهذا هو رصيدك بعد عشر سنوات من الخدمات الوفية على صفحات السيد أبولو. أولست خجلاً، في نهاية المطاف! أقبل وظيفة كاتب وقائع، وستربح الريالات، وستصبح لك طاولة في مطعم بريبان وستقضي أحلى الأيام بريشة جديدة تعلقها على قلنسوتك. لا؟ لا تريد؟ أن تزعم البقاء حراً على هواك حتى النهاية. حسناً.

استمع إذاً إلى قصة عنزة السيد سيجان، وسترى ما ينال المرء إذا أراد العيش حراً.

لم يذق السيد سيجان أبداً طعم السعادة مع عنزاته إذ كان يفقدها كلها بنفس الطريقة: ففي الصباح كانت العنزات تقطع حبالها وتذهب إلى الجبل، حيث كان هناك ذئب يفترسها. ولا شيء كان يردعهن. لا شيء. لا مداعبات سيدهن، ولا خوفهن من الذئب. على ما يبدو كن عنزات مستقلات. فقد كن يردن الهواء الطلق والحرية مهما بلغ الثمن. أما السيد سيجان الطيب، والذي لم يكن يفهم شيئاً عن طباع عنزاته، فقد كان حائراً في أمرهن. وكان يقول:

"انتهى الأمر. إن الملل يصيب العنزات عندي. لذا لن أحتفظ ولا بواحدة".

ومع ذلك، لم تثبط عزيمته. فبعد أن فقد ست عنزات بنفس الطريقة، راح واشترى واحدة سابعة. لكنه حرص هذه المرة على أن يشتريها صغيرة لتعتاد بشكل أفضل على البقاء في بيته.

آه، يا غرينغوار! كم كانت جميلة عنزة السيد سيجان تلك، بعينيها الوادعتين ولحيتها التي تشبه لحية ضابط صف، وبحوافرها السوداء اللامعة وقرنيها المخططين، وشعرها الأبيض الطويل، الذي كان يشكل لها دثاراً فضفاضاً. لقد كانت روعتها تشبه روعة جدي أزميراك.. أتذكر ذلك يا غرينغوار؟ زد على ذلك طواعيتها ومحبتها للمداعبة. وكانت، عند الحلب، تستسلم بلا حراك، ودون أن تضع قائمتها في القصعة، لقد كانت عنزة صغيرة لطيفة.

كان السيد سيجان يملك خلف منزله زريبة تحيطها نباتات الزعرور، فوضع فيها المستأجرة الجديدة. وكان يربطها إلى وتد في أجمل مكان من المرعى. وكان حريصاً على أن يطيل لها الحبل. وكان من وقت لآخر يأتي ليطمئن عليها. كانت العنزة تحس بسعادة فائقة. وكانت ترعى العشب بحب كبير لدرجة أن السيد سيجان كان سعيداً بذلك.

"أخيراً، قال الرجل المسكين لنفسه: هذه عنزة لن يصيبها الضجر عندي".

لكن السيد سيجان كان مخطئاً، إذا سرعان ما ضجرت العنزة.

ذات يوم، بينما كانت العنزة ترنو ببصرها نحو الجبل، قالت لنفسها: "لا بد أن الحياة جميلة، هناك، فوق! فما أمتع أن قفز بين نباتات الخلنج، لولا هذا الرسن الذي يسلخ رقبتي! أن الرعي في المراعي يناسب الحمار أو الثور، أما الماعز فيحتاج إلى المدى".

وبدءاً من هذه اللحظة بدا لها عشب الزريبة تافهاً. وغزاها الضجر. فنحل جسمها، وندر حليبها. وكان منظرها يثير الشفقة وهي تجر رسنها ورأسها يتجه نحو الجبل. وكان منخارها مفتوحاً وهي تقول: "ماع" بشكل حزين.

كان السيد سيجان يلاحظ أن عنزته كانت تعاني من أمر ما. لكنه لم يكن يعرفه.

ذات صباح، وبعد أن أنهى حلبها، استدارت العنزة نحوه وقالت بلكنة محلية: "اسمع يا سيد سيجان أن جسمي يهزل عندك، دعني أذهب إلى الجبل!".

–يا إلهي! هي أيضاً". صاح السيد سيجان مندهشاً. وفجأة ترك القصعة تقع على الأرض ثم جانب عنزته على العشب وقال: "كيف يا بلانكيت تريدين تركي؟!". فأجابت بلانكيت: "نعم يا سيد سيجان". –هل العشب يعوزك هنا؟– لا يا سيد سيجان.

قال: –يبدو أن حبلك قصير. أتريدين أن أطيله لك؟ أجابت: –لا داعي لذلك يا سيدي سيجان. قال:

–إذن، ما الذي تحتاجين إليه؟ ماذا تريدين؟". أجابت: –أريد الذهاب إلى الجبل يا سيد سيجان. أجاب: –لكن، لسوء حظك أنك لا تعرفين أن الذئب هناك في الجبل، فماذا أنت فاعلة إذا جاء إليك؟ أجابت: –سأنطحه بقرني يا سيد سيجان. فقال: – الذئب لا يعبأ بقرنيك. هل تعرفين العنزة المسكينة رونود، التي كانت قبلك هنا؟ لقد كانت عنزة سيدة، قوية وخبيثة كالتيس، تعاركت مع الذئب طيلة الليل، ثم أكلها في الصباح. أجابت: –يا للعنزة المسكينة! ومع ذلك دعني أذهب إلى الجبل، يا سيد سيجان. فقال: –يا للسماء ما الذي يجري لعنزاتي؟ هذه واحدة أخرى سيأكلها الذئب.. حسناً. سأنقذك رغماً عنك أيتها الملعونة، وحتى لا تقطعي الحبل، سأحبسك في الإسطبل حيث ستبقين دائماً.

ثم حمل السيد سيجان العنزة إلى الإسطبل وأغلق بابه بقطعتين. ولسوء حظه كان قد نسي النافذة. فما أن أدار ظهره، حتى خرجت الصغيرة.

أتضحك يا غرينغوار؟ تباً لك. أعتقد أنك تقف في صف العنزات، ضد السيد سيجان المسكين.. سنرى إن كنت ستضحك بعد قليل.

عندما بلغت العنزة البيضاء ظهر الجبل عمت الفرحة فيه إذا لم يسبق للسنديان العتيق أن رأى جمالاً كجمالها. واستقبلت كما يليق بملكة صغيرة. كانت أشجار الصنوبر تنحني لدى مرورها، وتطلق عبقها الجميل ما أمكنها ذلك. وأقام الجبل كلها لها احتفالاً.

إنك تفكر يا غرينغوار فيما إذا كانت عنزتنا الصغيرة سعيدة حيث لا حبل ولا وتد. ولا شيء يمنعها من القفز والرعي كما يحلو لها. كان العشب يغطي قرنيها يا عزيزي! وأي عشب! لذيذ وناعم ومخرم من ألف نبتة ونبتة. لقد كان مختلفاً عن عشب الزريبة. أما الورود! هناك الجريسيات الكبيرة الزرقاء، والقمعيات الأرجوانية ذات الكؤوس الطويلة، إنها غابة من الورود البرية الطافحة بالانساغ المسكرة.

كانت العنزة، نصف سكرانة، وتتمرغ، قوائمها في الهواء، وكانت تتدحرج على طول المنحدر، وتختلط بالأوراق الساقطة والصنوبر.. ثم كانت تنهض فجأة قافزة على قدميها.. هوب.. هاهي تنطلق ورأسها إلى الأمام، عبر الأدغال والمباقس، تارة فوق القمة، وطوراً في أعماق الوادي، فوق، تحت،.. وفي كل مكان.. وكأن هناك في الجبل عشر عنزات للسيد سيجان، لأن بلانكيت لم تكن تخاف شيئاً. بقفزة واحدة، كانت تجتاز السيول الكبيرة التي كانت تلطخها عند مرور الغبار الرطب والزبد. وبينما كانت ترشح ماءاً، كانت تذهب لتتمدد فوق صخرة منبسطة وتجفف نفسها تحت الشمس. ذات مرة، بينما كانت تتقدم على حافة الهضبة.. لمحت هناك، تحت، بعيداً في السهل منزل السيد سيجان والزريبة خلفه، فضحكت حتى انهمرت دموعها، وقالت: "ما أصغره! كيف طقت العيش فيه". وحينما رأت المسكينة، نفسها معلقة فوق، كانت تحسب نفسها، على الأقل، كبيرة كالعالم.

باختصار، كان يوماً جميلاً قضته عنزة السيد سيجان. وعندما انتصف النهار، وبينما كانت تركض يمنة ويسرة وقعت على

قطيع من الشاموا وهي تقضم الكرمة البرية بأسنانها الجميلة. فأثر المنظر بعداءتنا الصغيرة ذات الثوب الأبيض. فقد أفرد القطيع لها أفضل مكان في الكرم. وكان أولئك السادة بالغي اللطف ويبدو أن –ينبغي أن يظل هذا الأمر سراً بيننا باغرينغوار– شاموا شاباً ذا وبر أسود قد أسعده الحظ وأعجب ببلانكيت. وتاه العاشقان في الغابة ساعة أو أكثر. وإذا أردت أن تعرف ما قالاه بينهما سل الينابيع الثرثارة التي تسري بين الأعشاب.

فجأة، صار الهواء رطباً، والجبل مخيفاً. إنه الماء. هل حان الوقت؟ قالت العنزة الصغيرة لنفسها، وتوقفت مندهشة.

في الأسفل كانت الحقول غارقة في السحاب وكان زريبة السيد سيجان تتوارى خلف الضباب، ولا يرى من المنزل الصغير سوى السطح وبعض الدخان. أصغت العنزة إلى أصوات أجراس قطيع كان يعود به أصحابه إلى المنزل، فشعرت بحزن كبير. وحف بها سنقر بجناحيه أثناء عبوره. فارتعدت. ثم سمع صوت عواء في الإنجيل.. "عو.. عَو". فخطر الذئب ببالها.

لقد قضت المسكينة يومها دون أن تفكر به وفي نفس اللحظة صدر صوت برق بعيد في الوادي كان هذا هو السيد سيجان الذي يحاول بذل آخر جهد له.

وكان الذئب يعوي "عو..عو"..

–عودي. عودِي. كان البوق يصرخ.

رغبت بلانكيت بالعودة. لكن تذكرها للوتد والحبل وقصب الزريبة، جعلها تظن أنها لم تعد قادرة على تحمل مثل هذه الحياة وأنه من الأفضل لها أن تبقى حيث هي.

انقطع البوق عن الصياح.

سمعت العنزة، خلفها حفيف أوراق الشجر. استدارت فرأت في عتمة الليل أذنين قصيرتين منتصبتين وعينين لامعتين.. إنه الذئب. ضخم. ثابت ومقع على مؤخرته. كان هناك، يرمق العنزة الصغيرة البيضاء ويتذوقها سلفاً. ولأنه الذئب، كان يعرف بأنه سيأكلها. لذلك لم يكن مستعجلاً: وحينما استدارت نحوه عندها فقط، شرع يضحك بخبث:

"ها.. ها.. عنزة السيد سيجان الصغيرة".. ومرر لسانه الضخم الأحمر فوق مشفريه الذئبيين.

شعرت بلانكيت بالضياع. ومرت لحظة حينما تذكرت قصة العنزة رونود العجوز، التي ناضلت طيلة الليل لكي تنتهي مأكولة في الصباح. فقالت في نفسها: ربما من الأفضل أن تقدم نفسها فريسة للذئب فوراً. ثم غيرت رأيها. وقعت. رأسها منخفض، وقرنها نحو الأمام كعنزة باسلة يوم كانت من عنزات السيد سيجان ليس لأنها تأمل في قتل الذئب –فالماعز لا يقتل الذئب– إنما لترى إذا كانت قادرة على الصمود مثلما صمدت رونود. عندئذ، تقدم الوحش. وبدأ القرنان الصغيران بالرقص.. آه! يا للعنزة الباسلة كم كانت ساذجة. لا أكذبك يا غرينغوار إنها اضطرت الذئب على التراجع أكثر من عشر مرات لكي يلتقط أنفاسه. خلال هذه الهدنات التي لم تدم أطولها أكثر من دقيقة، كانت الشرهة تستعجل لاقتطاف بعض العشب، ثم كانت تعود للقتال وفمها مليء. واستمر ذلك الأمر طيلة الليل. ومن وقت لآخر كانت عنزة السيد سيجان ترمق النجوم المتراقصة في كبد السماء المضاءة، فتقول لنفسها: "أوه، ليتني أصمد حتى الفجر".

كانت النجوم تنطفئ واحدة تلو أخرى، فضاعفت بلانكيت من ضربات قرنيها. أما الذئب فكفاه ضربة واحدة من أسنانه.

ضوء باهت لاح في الأُفق، وانطلق صياح ديك أبح من إحدى المزارع.

"أخيراً!" قالت المسكينة التي لم تكن تنتظر سوى طلوع النهار، لكي تموت.. وتمددت فوق الأرض بثوبها الأبيض الجميل الملطخ بالدماء. بينما رمى الذئب بنفسه فوق العنزة الصغيرة وافترسها.

وداعاً يا غرينغوار:

القصة التي استمعت إليها ليست حكاية من اختراعي. إذا ما جئت يوماً إلى بروفانس فغالباً ما سيحكي لك الفلاحون قصة عنزة السيد سيجان التي قاتلت الذئب طيلة الليل ليأكلها في الصباح.

إنك تسمعني جيداً يا غرينغوار: ثم أكلها الذئب في الصباح.

***تحليل القصة:**

في تحليلنا للقصة السابقة نقترح الإجراءات التالية:

1-تقطيع النص إلى مقاطع.

2-استخلاص البنية السردية.

3-توضيح المضامين الدلالية بالاستعانة بالمربع السيميائي.

ملاحظة:

قصة "عنزة السيد سيجان" تتخذ شكل قصة (خرافة، حكاية شعبية) مندمجة في عملية اتصال على شكل رسالة موجهة من دوديه إلى غرينغوار. فهل هي فعلاً حكاية شعبية بروفانسية (ريفية) أم هي محاكاة قام دوديه بتركيبها. وما هي العلائم التي تدل على بروفانسيتها؟

متلقي الرسالة غرينغوار شاعر غنائي مقيم في باريس. فهل هو شخصية حقيقة أم وهمية؟ وما مدى العلاقة بين القصة والرسالة؟ (العنزة ترمز إلى غرينغوار نفسه، والقصة تشكل تحذيراً من دوديه إلى الشاعر الذي يرفض وظيفة محرر وقائع لأنه يريد الاحتفاظ بحريته. لن نجيب عن هذه الأسئلة هنا فقد تكفل بها روبيرلافون وفرانسواز غارد مادري في كتابهما: مقدمة إلى التحليل النصي، لاروس، 1976، ص 134-148).

1-تقطيع النص إلى مقاطع:

يفصل بين المقطعين: الأول والأخير مساحة بيضاء لأن الأمر يتعلق ببداية الرسالة التي تفصح عن العظة الموجودة في القصة، كما يتعلق بنهايتها (الرسالة) عند انتهاء القصة.

أما القصة، في حد ذاتها: فتتضمن أربع كتل طباعية. وهذا التقسيم من شأنه أن يقدم لنا تحديداً ناقصاً في حد ذاته لكن هناك تحديدات أخرى تضطلع بهذه المهمة.

المقطعان الأول والثاني:

تنقسم الكتلة الطباعية الأولى إلى مقطعين، يبدأ الأول بعبارة "لم يذق السيد سيجان أبداً طعم السعادة مع عنزاته" والثاني بعبارة "ومع ذلك لم تثبط عزيمته". وهنا توجد عدة وجهات نظر تدل على "الانفصال أو الفقدان" (انظر الجزء النظري من هذه الدراسة).

1-منطقية: وتتجلى في عبارة "مع ذلك".

2-زمانية: "بعد أن فقد ست عنزات بنفس الطريقة؛ راح واشترى واحدة سابعة".

3-تمثيلية: ست عنزات عكس واحدة سابعة.

المقطع الأول: كل العنزات – المقطع الثاني السابعة، التي تتميز عن الست الأخريات، فهي (أي العنزة) في صيغة المفرد، كما أنها "صغيرة جداً" ويكرس لها النص وصفاً خاصاً بها.

المقطع الأول يعلن عن بداية القصة التي لن تكون سوى مصادفة لقصة تكرارية؛ سنشهد السابعة نفس مصير الست الأخريات. في بداية المقطع الثاني هناك عبارة تذكر بمضمون المقطع الأول "بعد أن فقد ست عنزات بنفس الطريقة" في هذه الحالة نحن إزاء تكرار يهدف إلى تعزيز ما سبق ذكره. وهي طريقة تؤمن تسلسل المقاطع المنفصلة.

الكتلة الطباعية الثانية تتضمن مقطعين (3، 4)، المقطع الثالث يبدأ بـ "ذات يوم، بينما كانت العنزة ترنو ببصرها نحو الجبل" أما الانتقال من المقطع الثاني إلى الثالث فيتحدد بأكثر من انفصال:

1-انفصال طباعي.

2-انفصال زماني: "ذات يوم، بينما كانت ترنو.. بدءاً من هذه اللحظة".

3-انفصال فضائي: في نفس الفترة، زريبة عكس نحو الجبل.

4-انفصال تمثيلي: السيد سيجان يغادر المشهد.

5-انفصال يتعلق بالجو: سرور في المقطع الثاني عكس انزعاج في الثالث.

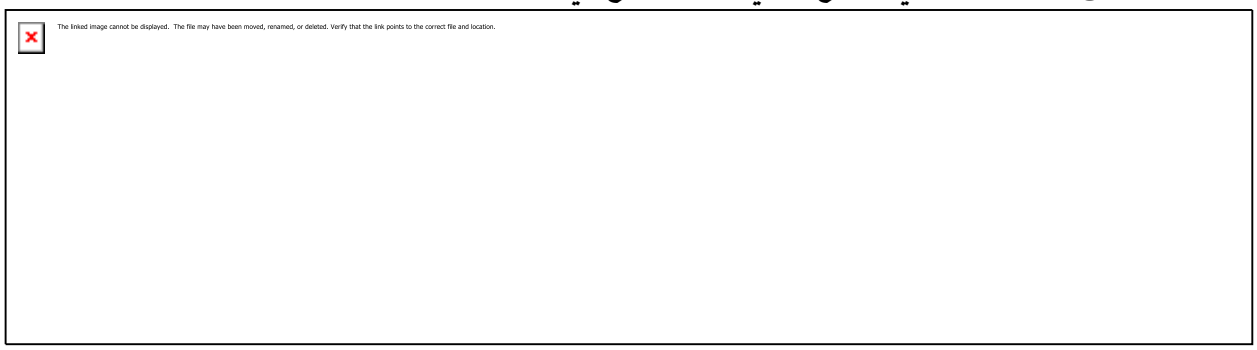

لاحظوا أن المقطع الثالث كان قد أعلن عنها عند نهاية الثاني، قبل المساحة البيضاء "لكن السيد سيجان كان مخطئاً، إذ سرعان ما ضجرت العنزة" وهذه وسيلة نموذجية نجدها في الحكايات الشعبية من الأدب الشفهي، إذ إن الراوي يستبق الأحداث ليثير فضول المستمع.

المقطع الرابع:

ويبدأ بـ "ذات صباح، وبعد أن أنهى حلبها". أما الانتقال من المقطع الرابع إلى المقطع الخامس بوجود انفصال من نوع:

1-زماني: "ذات صباح".

2-تمثيلي: رجوع السيد سيجان مرة أخرى إلى المشهد.

3-ملفوظي: بداية الحوار بين السيد سيجان وعنزته.

الجملة الأخيرة من المقطع الرابع تكون علاقة مع المقطع اللاحق لأنه يلخص حالة العنزة "تعاني من أمرها"، ويعلن عن السيد سيجان: "كان سيجان يلاحظ أن.. لكنه لم يكن يعرف".

الكتلة الطباعية الثالثة تتضمن مقطعين (الخامس والسادس):

المقطع الخامس:

يتميز الانتقال من المقطع الرابع إلى الخامس بوجود انفصال:

1-طباعي.

2-فضائي (ما أنجزته العنزة لأن رحيلها في المقطع الرابع لم يكن سوى مجرد فكرة)، أما الآن فهي تنتقل إلى الجبل بالفعل.

3-تمثيلي: السيد سيجان لم يعد موجوداً.

4-انفصال يتعلق بالجو: انزعاج عكس ابتهاج: "عمت الفرحة.. استقبال الملوك – احتفال الجبل بها".

بداية المقطع الخامس يستعيد، بشكل سردي، خاتمة الحوار الذي ينهي المقطع الرابع، وتتصل المقاطع ببعضها؛ المقطع الرابع (سأحبسك في الإسطبل)، المقطع الخامس (ثم حمل السيد سيجان العنزة).

المقطع السادس:

تبدأ بعبارة "فجأة، صار الهواء رطباً". على الرغم من غياب الانزياح الطباعي، يمكن اعتبار أننا ننتقل إلى مقطع جديد يختلف عن السابق لوجود انفصال:

1-زماني: "فجأة، صار الهواء رطباً.. وصار الجبل بنفسجياً، إنه المساء".

2-تمثيلي: غياب السيد سيجان في المقطع الخامس لكنه يظهر عن بعد، وبشكل استعاري عن طريق البوق.

كما يتم الإعلان عن وصول الذئب بواسطة عوائه.

3-انفصال يتعلق بالجو: انشراح(5) عكس انزعاج(6).

"توقفت مندهشة –أحست بالحزن.. كانت ترتعد".

ونهاية المقطع السادس تعلن عن "إنه الذئب" والمقطع السابع يبدأ بوصف هذه الشخصية الجديدة: "ضخم، ثابت. مع على مؤخرته كان هناك".

وهنا أيضاً نضع أيدينا على طريقة الربط التي عودنا النص عليها.

المقطع السابع:

ويتحدد الانتقال إلى المقطع السابع عن طريق:

1-انزياح طباعي.

2-انفصال تمثيلي قوي (الذئب يتدخل باعتباره فاعلاً مضاداً –يتغير برنامج العنزة نتيجة لذلك إذ ليس المهم الآن المحافظة على حريتها إنما الصمود حتى الصباح).

كان يمكن للقصة أن تنتهي بدون إدخال هذا البرنامج الجديد، لأن تقول مثلاً. "عندئذٍ، انقضّ الذئب على العنزة الصغيرة وافترسها". لكن إدخال هذا البرنامج الجديد يبرز واقعة ثانية. والانفصال بين المقطعين السادس والسابع يمكن أن نسميه "الانفصال السردي".

ملخص:

القصة الواقعة بين بداية الرسالة ونهايتها تنقسم إلى سبعة مقاطع وواقعتين.

العلاقة بين مقطع وآخر تأمنت في:

-بداية المقطع: عن طريق التذكير بالمقطع السابق.

بداية المقطع الثاني: تذكر بالمقطع الأول.

بداية المقطع الخامس: تذكر بالمقطع الرابع.

-نهاية المقطع: عن طريق استباق المقاطع التالية:

-نهاية المقطع الثاني: استباق المقطع الثالث.

-نهاية المقطع الثالث: استباق المقطع الرابع.

-نهاية المقطع السادس: استباق المقطع السابع.

المقطع السادس فقط لا يتضمن تذكيراً بالمقطع السابق. لكن لماذا؟ ربما لأن مجمل هذا المقطع يشكل مرحلة انتقالية بين الخامس والسابع.

المقطع الخامس: برنامج العنزة (الحرية).

المقطع السابع: برنامج جديد للعنزة (الصمود حتى الفجر).

المقطع السادس: تردد العنزة.

مع ذلك يمكن أن نرى نوعاً من استباق المقطع السادس في المقطع الخامس: "المسكينة حينما رأت نفسها معلقة فوق".

إذ إن حكم الراوي يعلن في الانشراح الموجود في المقطع الخامس عن الاستياء في السادس "باختصار، كان يوماً جميلاً قضته العنزة" يجعلنا نتوقع الانفصال الزماني للمقطع السادس.

البنية العاملية للقصة:

سنرى الآن كيف تتكون الشخصيات تدريجياً من مقطع لآخر وهي تتمتع بالمؤهلات (كينونة الشخصية) والوظائف (عمل الشخصية) والكفاءة (معدلات أو موجهات الإرادة والسلطة) اللازمة لتحقيق الأداء.

وسنقوم الآن، تدريجياً، بتحليل العلاقات القائمة بين العوامل، محاولين تكوين نموذج عاملي ينظم كل مقطع سردي على حدة.

1-رسالة دوديه إلى غرينغوار: (دوديه يروي القصة ليس لمجرد متعة الرواية وإنما ليقدم عظة لصاحبه. وبما أن القصة مقدمة من دوديه إلى غرينغوار، فهي تتسجل إذاً ضمن العلاقة.

موجه -موضوع-موجه إليه

= = =